الواقع اللغوي في المغرب الأوسط في العصر الوسيط
تلمسان نموذجا

The linguistic reality in the Middle Maghreb in the medieval era
Tlemcen as a model

د محمد عمر حساني[1]
[1] كلية الاداب واللغات ، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة (الجزائر)
البريد الإلكتروني : medomar2005@hotmail.com

تاريخ الاستلام : 29-04-2021؛ تاريخ المراجعة : 16-09-2021 ؛ تاريخ القبول : 31-10-2021

ملخص :

شهد المغرب الأوسط تعريبا نخبويا مدروسا، في العصر الوسيط، في الحواضر الكبرى، وذلك قبل عملية التعريب العامّية – إن صح التعبير - التي تنامت مع الهجرات العربية إلى البلاد المغاربية منذ النصف الثاني من القرنين الخامس الهجري – الحادي عشر الميلاد.

وعُرفت حواضرُ باستقطابها لأعلام اللغة ودارسيها، حتى أن من بينها من ورثت مثيلاتها، بل ورثت أقاليم برمّتها في مجـــال الدرس اللغوي. وامتد هذا الواقع قرونا متطاولة، كما هي حال مدينة تلمسان التي ورثت بجاية كما ورثت الأندلس لاحقـــا فـــي هـــذا المجال. وكان واقعها اللغوي مضبوطا من حيث نوعية المصادر وتوقيت تدريسها والتخصص. وأفرز هذا الواقع نتاجا لغويا ثريا كما أفضى إلى عملية تثاقف انداحت زمانيا ومكانيا لتمتد إلى إفريقيا جنوب الصحراء.

الكلمات المفتاح : اللغة- تلمسان- النحو- الصرف- إعراب القرآن- البلاغة- العروض

Abstract:

Througout the medieval era, the central Maghreb witnessed a systematic elite Arabization in the major metropolises. This process started long before the vernacular mass Arabization - so to speak - that grew exponentially with Arab tribal migrations to the Maghreb countries since the second half of the fifth century AH - eleventh century AD.

Big cities in the region were known for attracting students, linguists and scholars from all over the Maghreb land. Some of these metropolises inherited, in the field of language study, other cities or even whole regions. as this is illustrated by the case of the city of Tlemcen, which inherited Bejaia and subsequently Andalusia in this field of study: Tlemcen linguistic sciences were controlled by the quality of the resources, timing of teaching, and the specialization. This rich environment yielded a rich linguistic output and studies as well as it generated a process of acculturation that expanded in time and space to extend to whole sub-Saharan Africa.

Key words: Linguistic Reality - Tlemcen - sources of language studies- Linguistic Resources - Grammar - Morphology - Quran syntactic analysis - Rhetoric - prosody.

* Corresponding author, e-mail: medomar2005@hotmail.com

I- تمهيد :

ذكر أحمد بابا التنبكتي عن لقاء الشريف التلمساني لشيخه ابن عبد السلام بتونس، نقلا عن ولده أبي محمَّد عبد الله بن الشريف ما نصه: «لما حضر مجلسَ ابنِ عبد السلام جلس حيث انتهى به المجلس، فتكلم الشيخ في الذكر هل هو حقيقة في ذكر اللسان ؟ فقال أبو عبد الله: «يا سيدي، الذكر ضد النسيان، ومحل النسيان القلب لا اللسان، وتقرَّر أنَّ الضِّدين يجب اتحاد محلهما»، فعارضه ابن عبد السلام بأنَّ الذِّكر ضِدُّ الصمت، والصمت محله اللسان، فيجب كون اللسان محل ضده الذي هو الذكر، فيكون حقيقة فيه.« قال عبد الله: «فسكت عن مراجعته تأدبًا معه، وقد علمت أنَّ الصمت إنما ضِدُّه النطق لا الذكر، فلمَّا جاء في الغد جلس في موضعه، فقام نقيب الدولة فأجلسه بجنب ابن عبد السلام بأمره بذلك».1

ويؤثر عن الشيخ البشير الإبراهيمي استظهاره لأربع مؤلفات في اللغة هي: كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ للاجدابي وفصيح ثعلب والألفاظ الكتابية للهمداني وإصلاح المنطق لابن السكّيت.2

لا غرو، والحال هذه، أن تأتي أول ألفية معروفة في النحو من البلاد المغاربية من بجاية تحديدا3، التي كانت قلعة من قلاع العربية بفضل مشايخها، وهو ما يشير إليه النص الذي ينقله ابن مريم التلمساني عن الشيخ حسن أبركان متحدثا عن شيخه نصر الزواوي:"وكان شيخنا سيدي نصر لم يأت لتلمسان حتى أتقن علم العربية ببجاية على مشائخها"(ص82). وإن كانت الألفية المتداولة حاليا ينحدر ناظمها من الأندلس4، حيث كانت المثاقفة معها إما عن طريق الرحلات كما هو الحال مع الإمام القلصادي الرحالة المشهور5، وإما عن طريق المباحثات والمطارحات بطريق الترسل، فهذا ابن مرزوق الحفيد يؤلف مؤلفا عنوانه:"المعراج في استمطار فوائد الأستاذ ابن السراج في كراس ونصف، أجاب فيه الإمام ابن السراج الغرناطي عن مسائل نحوية ومنطقية"6.

ويرى ابن خلدون أن أهل صناعة العربية بالأندلس ومعلميها أقرب إلى تحصيل الملكة اللسانية وتعليمها ممن سواهم، لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم، والتفقه في الكثير من التراكيب في مجالس تعليمهم.7

ولقد ولُع المغاربيون عموما من العُدوتين بلغة الضاد منذ القرون الأولى، وإن ظلوا متشبثين بوصية الفاتح عقبة بن نافع الفهري لا يكادون يخلطون بالقرآن وبموطإ الإمام مالك رحمه الله شيئا.8 ثم ما لبثوا، بعد أن توسعوا في الدراسات اللغوية، أن استحدثوا في النحو مذهبا رابعا إلى جانب مذاهب البصريين والكوفيين والبغداديين وهو المذهب المعروف بمذهب المغاربة والأندلسيين. وقد ظهرت مبادئ هذا المذهب من أوائل القرن الخامس الهجري، وهو يعد بحق فجر النهضة النحوية في هذه البلاد9.

يقول ابن سعيد المغربي- وكان يكتب في القرن السابع الهجري- ونقل كلامه المقري التلمساني: «والنحو عندهم في نهاية من علو الطبقة حتى أنهم في هذا العصر فيه كأصحاب عصر الخليل وسيبويه، لا يزداد مع هرم الزمان إلا جدة، وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه، وكل عالم في أي علم لا يكون متمكنا من علم النحو بحيث لا تخفى عليه الدقائق فليس عندهم بمستحق للتمييز ولا سالم من الازدراء».10

هذا، وتعتبر المدرسة النحوية التلمسانية امتدادا لنظيرتها الأندلسية وإن تأخرت عنها في النشأة وفي النبوغ. ولقد استفادت تلمسان كثيرا في شتى مناحي العلوم وخاصة النحو من أعلام أندلسيين نزحوا إليها جراء مناخ الاضطراب والفوضى الذي شهدته الأندلس قبل معركة الزلاقة وبعدها11.

تعاطت الأوساط العلمية بتلمسان تقريبا كل العلوم اللغوية المتداولة في الثقافة العربية الإسلامية، وإن كان تعاطيها بنسب متفاوتة، ويظهر من خلال النظر في التناسب الكمي بين الفنون اللغوية عند التلمسانيين أنها تتراتب تصاعديا بحسب الحاجة إليها في العلوم الشرعية فهما وتأليفا، فليس غريبا والحال هذه أن نجد علم النحو على رأس العلوم المتداولة، يليه علم البلاغة، وهما أقرب العلوم اللغوية إلى الحاجة الشرعية من جهة فهم النصوص الشرعية، فالأول يوقف الطالب على

معاني الكلام العربي من جهة الوضع، والثاني من جهة الاستعمال والتنكيت، فالأول يصحح الكلام، والثاني يوجهه ويحرر مقاصده.12

ويرى ابن خلدون أن علماء تلمسان خالطوا في النحو كثيرا كتب المتأخرين العارية إلا من القوانين النحوية مجردة عن أشعار العرب وكلامهم، وهو ما حدا به- وهو طالب تلمساني نهل من معين علوم المشائخ التلمسانيين- إلى حصر امتداد الملَكة اللسانية كما يقول خارج الأندلس في سبتة فقط من بين حواضر البلاد المغاربية.

يقول ابن خلدون:" وكان أهل صناعة العربية بالأندلس ومعلموها أقرب إلى تحصيل هذه الملكة وتعليمها من سواهم؛ لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم والتفقه في الكثير من التراكيب في مجالس تعليمهم؛ فيسبق إلى المبتدئ كثير من الملكة أثناء التعليم فتنقطع النفس لها وتستعد إلى تحصيلها وقبولها . وأما من سواهم من أهل المغرب وإفريقية(تونس) وغيرهم فأجروا صناعة العربية مجرى العلوم بحثا، وقطعوا النظر عن التفقه في تراكيب كلام العرب إلا إن أعربوا شاهدا أو رجحوا مذهبا من جهة الاقتضاء الذهني لا من جهة محامل اللسان وتراكيبه؛ فأصبحت صناعة العربية كأنها من جملة قوانين المنطق العقلية أو الجدل، وبعدت عن مناحي اللسان وملكته . وما ذلك إلا لعدولهم عن البحث في شواهد اللسان وتراكيبه وتمييز أساليبه وغفلتهم عن المران في ذلك للمتعلم فهو أحسن ما تفيده الملكة في اللسان. وتلك القوانين : إنما هي وسائل للتعليم، لكنهم أجروها على غير ما قصد بها وأصاروها علما بحتا وبعدوا عن ثمرتها"13.

هذا، وقد غاب عن ابن خلدون ما سطره زميله وعصريّه ابن الخطيب في ترجمته لأعلام تلمسان حيث وصفهم بالترسل في الكتابة وبالإمامة في الشعر، كما سيمر معنا لاحقا في حق ابن خميس الحجري وابن مرزوق الأكبر. ولعله أغفل أيضا أن ابن مالك نفسه في ألفيته نحا نحوا يمكن أن يقال عنه إنه نحو ممنطق.

مهما يكن، فإن ابن خلدون محقٌّ في أن صناعة العربية عند المغاربيين وخاصة في المغرب الأوسط أصبحت كأنها من جملة قوانين المنطق العقلية أو الجدل، فهذا المقري التلمساني يسقط قواعد منطقية على مسائل نحوية كقوله: يُحمل الشيء على نقيضه كما يحمل على نظيره، الرجوع إلى الأصل بأدنى سبب، العلة يجب طردها باتفاق، لا يُعدل عن الأصل إلا لفائدة... وغيرها كثير.14

وما أصاب النحو التلمساني سرت عدواه إلى البلاغة عندهم. فقد وجدوا في كتاب المفتاح للسكاكي(ت:626) ما يوافق تمام الموافقة ما يجدونه في كتب المنطق التي كانت تعمر مجالس الدرس لديهم: جمل الخونجي، وإيساغوجي، وتلخيص كتاب أرسطو لابن رشد، والسلم المرونق15.

النحو في تلمسان

من خلال إطلالة سريعة على المصادر المعتمدة لسانيا المتداولة في مراكز العلم بحاضرة مدينة تلمسان، التي تحفل بها كتب رحلات الدارسين في تلمسان خلال العصر الوسيط وكذلك برامج مشيخاتهم وإجازاتهم، يتبين لنا الحيّز الكبير الذي شغلته الدراسات اللغوية في تلمسان في ذلك العصر. ويكفينا دليلا على ذلك أيضا ما جمعه ابن أبي شنب من هذه المصادر. فقد أعد فهرسا للكتب المذكورة في أحد أشهر كتب التراجم التلمسانية ألا وهو كتاب البستان لابن مريم التلمساني المتوفى سنة 1020هـ.

ونقصد بالمصادر المعتمدة لسانيا الآثار والمؤلفات العلمية في علوم اللغة العربية الفصحى التي كان عليها الاعتماد في الدرس اللساني، ذلك أن الفكر اللغوي التعليمي لا يمكن رسم معالمه إلا بتتبع الآثار الموضوعة فيه ومناهجها وموضوعاتها ومحتوياتها العلمية.16

ورغم أن ما ذكره ابن مريم من مؤلفات لغوية إنما ذكره وفق مبدإ المناسبة، لأنه لم يكن من مقصوده حصر المؤلفات في فن من الفنون العلمية، إلا أنه يُظهر نشاطا تعليميا كبيرا لعلوم اللغة العربية التي تتدرج عندهم عن وعي في

علوم الآلات، وبجدول زمني مضبوط.17 كما أن الضبط في تحلية هذا المترجَم أو ذاك، من بين الأعلام المذكورين، يدور مع التخصص.18

ومن بين أولئك الأعلام محمّد بن عمر بن محمّد بن محمّد بن عمر بن محمّد الحجري بضم الحاء وسكون الجيم، الرُّعَيني، نسبة إلى حُجْر ذي رُعَين من أذواء حمير أي رؤوسهم. يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن خميس(708/650هـ*1309/1254م) شاعر، عالم بالعربية. كان من أعيان تلمسان، وكان يكتب عن ملوكها، ثم فر منهم، ومر بسبتة وغيرها، واستقر بغرناطة (سنة 703هـ) وتوفي بها قتيلا. طبقته في الشعر عالية. له ديوان سمي المنتخب النفيس في شعر ابن خميس. وهو من أكابر الأعلام العارفين بالنحو واللغة وغيرهما من أنواع العلوم؛ وقد نقل بعض من له خبرة بأحواله أنّه كان يحسن علم السيمياء. قال ابن الخطيب في " عائد الصلة ": كان رحمه الله نسيج وحده، قائما على العربية والأصلين، طبقة الوقت في الشعر، وفحل الأوان في المطول، أقدر الناس على اجتلاب الغريب19."

ثم ظهرت طبقة من النحاة في تلمسان، ابتداء من القرن الثامن الهجري، أخذ عنهم أعلام كثيرون كابن خلدون والقلصادي وغيرهما. وترجم السيوطي لهم في طبقات النحاة، وإن كانوا قد عرفوا بأنهم أخذوا حظا وافرا من العلوم الأخرى كابن مرزوق الخطيب20 وكابن زاغو21.

أما ابن مرزوق الخطيب فأشهر مؤلفاته في النحو هو تمهيد المسالك إلى شرح ألفية ابن مالك. ويليه حفيده الذي تجاوز الاهتمام بالنحو من بين علوم أخرى إلى علوم البلاغة، فوضع أرجوزة نظم بها تلخيص المفتاح في المعاني والبيان، كما ألف كتابا استوعب فيه ما في بردة البوصيري من البيان والإعراب سماه" الاستيعاب لما فيها من البيان والإعراب"، وهو واحد من شروح ثلاثة له على البردة. أما مؤلفاته المتخصصة في النحو فمن أبرزها: المعراج إلى استمطار فوائد الأستاذ ابن السراج، شرح شواهد الألفية22. وقد أخذ عن الفيروزابادي.

وكان المقري الجد الفقيه والقاضي والأديب الفذ قد نجم في النصف الأول من القرن الثامن الهجري، وكان له باعه الطويل في اللغة حيث شرح ديوان ابن خميس الحُجري. ومن بين أعلام المقريين الكبار سعيد بن أحمد بن محمد بن يحيى أبو عثمان المَقَّرِيّ القُرَشيّ، وصفه الزبيدي في تاج العروس على القاموس المحيط بأنه مُلحِقُ الأحفاد بالأجداد. وهو مفتي تِلِمْسان سِتِّينَ سنة. من شيوخه : الحافظ أبو الحسن عليّ بن هارونَ وأبو زيد عبد الرّحمن بن عليّ بن أحمد العاصِميّ وأبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله التَّنَسِيُّ وأبو العبّاس أحمد بن حجي الوَهْرانيُّ وغيرهم. حدَّث عنه مُسنِدُ المَغرب بثغر الجزائر أبو عثمان سعيد بن إبراهيم التُّونُسيُّ الجزائريُّ عُرِف بقدورة وابنُ أَخيه الإمام المُؤَرِّخ المحدِّث الشّهابُ أَحمدُ بن محمد بن أَحمد المَقَّرِيُّ مؤلف نفْح الطِّيبِ في غُصن الأَندلس الرَّطيب المُتوفَّى سنة 1041 وغيرهما. وكان المقري الحفيد المذكور آخرا خاتمة عين أعيان سلف المقريين نابغة في شتى العلوم مؤلفا له الباع الطويل في علوم العربية أيضا وفي العقائد وغيرها23.

وهو الذي خلد اسم مدينته، صادحا بحبها على كل فَنَن حتى في علوم النحو والصرف، حيث جمع حروف الزيادة في قوله" أهوى تلمسان" جاعلا من ذلك ضابطا لها لم تزل أمهات كتب النحو والصرف وقواميس اللغة تتعاطاه، ففي تاج العروس للزَّبيدي:" ومن ضوابطها- أي حروف الزيادة: أَهْوَى تِلِمْسَانَ ونظَمَه الإِمام أبو العباس أحمد المقري[الحفيد] في قوله :

قَالَتْ حُرُوفُ زِيَادَاتٍ لسائِلِهَا هَوِيت من بَلْدةٍ : أَهْوَى تِلِمْسَانَا".

وفي نفس القرن الذي عاش ابن مرزوق الحفيد طرفا منه نبغ نحوي تلمساني آخر هو محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي، أبو عبد الله، التلمساني، ابن العباس: المتوفى سنة 871 هـ / 1467 م: وهو فقيه أيضا. كان شيخ شيوخ وقته في تلمسان. من كتبه (شرح لامية الافعال: ولعله هو المعروف تحت اسم: تحقيق المقال وتسهيل المنال في شرح لامية الأفعال لابن مالك).

ونجم في نفس القرن محمد بن قاسم الانصاري، أبو عبد الله، الرصاع المتوفى سنة 894هـ/ 1489م له كتاب الجمع الغريب في ترتيب آي مغني اللبيب أو الجمع والتقريب في ترتيب آي مغنى اللبيب. ودائما في القرن التاسع الهجري نجد طالبا تلمسانيا درس على ألمع النحويين في تلمسان، وأصبح فيما بعد عالما لا يجارى، هو القلصادي. أما ابن زاغو فهو فقيه عابد فرضي، ألف أساسا في التفسير وفي الفرائض والفقه. ورغم ذلك كان مرجعا في النحو العربي.

مصادر علوم اللغة في حاضرة تلمسان:

لم يكد التلمسانيون يخرجون عن نحو ابن مالك24، سواء في ألفيته: حفظا25 ودراسة26 وشرحا27، أو تسهيله: دراسة وتدريسا28 وشرحا29، أو كافيته وكافية ابن الحاجب.30 وكانت لهم أيضا كتبهم الخاصة بهم31 كالجمل في النحو: لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي(ت:339) 32 وكالإيضاح: لأبي علي الفارسي (ت:377).33

على أنهم لم يغفلوا أمهات كتب اللغة ككتاب سيبويه(ت:180) وإن كان مردّ ضعف أثره مقارنة مع الكتاب السابقة إنما يعود إلى انغلاق مباحثه على المتأخرين من الناظرين فيه، ودخول عناصر معرفية ومنهجية أخرى بفعل الاحتكاك بالمنطق اليوناني من قبل النحاة المتأخرين. 34

أما المتون فحدّث ولا حرج، من حيث كثرة الإقراء، وأهم هذه المتون على الإطلاق: المقدمة الآجرومية لمحمد بن آجروم الصنهاجي(ت:723هـ)، ولا شك أن هذا المتن كان يدرس بشكل شائع حتى إن عدد مرات ذكره في البستان لا حصر له.35 إضافة إلى ملحة الإعراب لأبي محمد الحريري(ت:516هـ) شرحه القلصادي. هذا ولم يخل الكتاب من ذكر بعض المتون التي وضعها علماء تلمسان أو النازلون بها، فقد جاء في ترجمة القلصادي (ت: 891هـ) أن له مختصرا مفيدا في النحو، وهو التأليف الذي قرأه عليه تلميذه ابن الأزرق. كما ورد في ترجمة سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت:909هـ) أن له كذلك مقدمة في العربية.36

ومن أهم كتب علم الإعراب التي عني بها التلمسانيون دراسة وشرحا: كتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين ابن هشام الأنصاري(ت:761هـ).37

ومن المستغرب أن كتاب البستان لم يأت تقريبا على ذكر أي مؤلف من المؤلفات في علم الصرف على كثرتها، واهتمام علماء المغرب بها وضعا وشرحا، اللهم إلا متنا واحدا، وهو لامية الأفعال لابن مالك الطائي، حيث ذكر ابن مريم أن محمد بن العباس التلمساني قد وضع عليها شرحا.38

وفي علم البلاغة كان المفتاح للسكاكي(ت:626هـ)، أو بالأحرى تلخيصه للجلال القزويني(ت:739هـ): إقراء وشرحا واختصارا ونظما.39

وفي العروض أورث التلمسانيون للجهات التي كانوا يتبادلون معها ويتثاقفون حب القصيدة الخزرجية لعبد الله بن محمد الخزرجي الأندلسي(ت:626هـ). فنجد في مكتبات تمبكت كمّا لا حصر له من القصيدة وشروحها خاصة شروح علماء تلمسان.40

أما شرح الشواهد: فقد اعتنوا بكتب أهمها: "خزانة الأدب" للبغدادي في الشواهد النحوية، و"معاهد التنصيص" لعبد الرحيم العباسي في الشواهد البلاغية، وغيرها41.

خاتمة

يفضي استقراء واقع تدريس علوم اللغة، في تلمسان، ومن خلالها المغرب الأوسط، من خلال المصادر المذكورة آنفا إلى:

1- حيوية الواقع اللغوي؛
2- تنوع مشاربه؛
3- اعتماد مدونات معينة يغلب عليها الأسلوب التعليمي شكلا ومضمونا؛
4- التفاوت الشديد في مراجع اللغة المعتمدة كثرة وقلة بل وعدما أو شبه العدم؛
5- توازي الواقع اللغوي التعليمي مع الواقع اللغوي العام بعد انتشار قبائل الهجرات الهلالية والسليمية والمعقلية في عموم المغرب الأوسط وفشوّ وغلبة اللغة العربية كلغة دارجة؛
6- امتداد التأثير التلمساني في مجال الدرس اللغوي ومراجعه إلى الصحراء الكبرى والسودان الغربي؛
7- التثاقف الداخلي في المغرب الأوسط موازاة مع التثاقف مع الأندلس.

ويمكننا القول إن تلمسان كانت من بين الحواضر التي ورثت إقليم الأندلس في واقعه اللغوي الثري، حيث استقطبت من يمكن اعتباره آخر اللغويين الأندلسيين المعروفين ألا وهو القلصادي.

- **الإحالات والمراجع :**

1 التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس – ليبيا، 2000، ص257

2 محب الدين إيمان: محمد البشير الابراهيمي حامل لواء الدفاع عن اللغة العربية، أقلام الهند، السنة الثانية، العدد الثالث، يوليو - سبتمبر 2017 دراسات و مقالات

3 الامام العلامة يحيى زين الدين بن عبد النور الزواوي الجزائري، المتوفى بمصر في يوم الاثنين آخر شهر ذي القعدة من سنة 627 هـ المعروف بابن معطي. الزركلي: الأعلام - (ج 8 / ص 155)

4 محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني المعروف بابن مالك (600 هـ-672 هـ) نسبةً إلى جيان - بفتح الجيم وتشديد الياء كذا ضبطها ياقوت وصاحب القاموس والمقري - بالأندلس التي بها ولد. هو عالم لغوي كبير وأعظم نحوي في القرن السابع الهجري، وُلِد بالأندلس، وهاجر إلى الشام، واستقر بدمشق، ووضع مؤلفات كثيرة، أشهرها الألفية، التي عُرِفت باسم "ألفية ابن مالك." تلقى تعليمه على عدد من علماء الأندلس كأبي علي الشلوبين، ثم ارتحل إلى المشرق فنزل حلب. وقد كان إماماً في النحو واللغة وعالماً بأشعار العرب والقراءات وروايه الحديث. الزركلي: الأعلام - (ج 6 / ص 233)

5 القلصادي(815 - 891 هـ 1412 - 1386 م) علي بن محمد بن علي القرشي البسطي أبو الحسن: عالم بالحساب، فرضي، فقيه من المالكية. وهو آخر من له التآليف الكثيرة من أئمة الاندلس. درس بتلمسان. ورحل إلى المشرق، وتوفي بباجة تونس. له مختصرات وشروح في الفقه والمواريث والنحو، والعروض، واللغة، والادب، والجبر والمقابلة وغير ذلك. الزركلي: الأعلام - (ج 5 / ص 10)

6ابن مريم، ابو عبد الله محمد بن محمد ابن احمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الجزائر، المطبعة الثعالبية، 1908، ص210

7 ابن خلدون: المقدمة، الفصل الخمسون، ص 1083، ط. 3، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967.

8 عن خالد بن يزيد عن عمارة بن سعد عن عقبة بن نافع القرشي- وكان قد استشهد بإفريقية- أنه أوصى ولده فقال: لا تقبلوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عن ثقة ولا تديّنوا – يعني القرض – وإن لبستم العباء ولا تكتبوا ما يشغلكم عن القرآن". ولقد ظلت وصية عقبة هذه مهيمنة على الحياة العلمية في بلاد المغرب العربي، يقول ابن خلدون في مقدمته: " أما أهل المغرب فمذهبهم الاقتصار على تعليم القرآن فقط وأخذهم أثناء الدراسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث وفقه وشعر، ولا من كلام العرب، إلى أن يجاوزوا البلوغ إلى الشبيبة". ويقول المقدسي البشاري، عن بلاد المغرب والأندلس، في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: "وهم يقولون: لا نعرف إلا كتاب الله وموطأ مالك". ولعل ذلك التحفظ، مما أدى إلى التشبث بالسند والتحري في النقل؛ خشية الدخول في ما يمكن أن يحمل على المسألة والتعنيف؛ كما أشار إليه عبد الرحمن السعدي في كتابه تاريخ السودان. يحيى سيدي أحمد: ديوان الصحراء الكبرى المدرسة الكنتية، دار المعرفة، الجزائر، 2009م

9 محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، 1995، ص 188.

10المرجع نفسه، ص 190.

11التواتي بومهلة: المخطوطات التلمسانية في المكتبات الافريقية النحو نموذجا، دار المعرفة، الجزائر، 2015

12أمين قادري: الثقافة اللغوية المتداولة بتلمسان تأليفا وتدريسا من خلال كتاب البستان لابن مريم التلمساني (ت:1020هـ)، الأربعاء 27 ربيع الأول 1432، http://islahway.com/v2/index.php/423-2014-05-26-16-40-17، تاريخ الزيارة 2020/11/30

13ابن خلدون: المقدمة، م. س. الفصل الخمسون، ص 1085

14المقري، أبو العباس أحمد بن محمد: التحفة، تحقيق يحيى سيدي أحمد، دار المعرفة، الجزائر، 2011م

15أمين قادري: م. س.

16أمين قادري: م. س.

17 كان جملة من الشيوخ المترجمين يعمدون إلى برمجة مجموعتين من الدروس بين الصيف والشتاء كما يتبين من ترجمة ابن زاغو:"ولازمته مع الجماعة في المدرسة اليعقوبية للتفسير والحديث والفقه والأصول شتاء، والعربية والبيان والحساب والفرائض والهندسة صيفا" ابن مريم: م.س.، ص49. وقد تكرر هذا في أكثر من موضع من البستان، مثل ترجمته لعبد الله بن محمد الشريف الحسني. ابن مريم: م. س.، ص119.

18 فنراه يترجم لمحمد بن إبراهيم التازي بأنه كان:"إماما في علوم القرآن، مقدما في علم اللسان" ابن مريم: م. س.، ص58. ويصف شعيب بن أحمد بن جعفر أبا مدين بأنه كان:"علامة في الفقه والنحو واللغة والحساب" ابن مريم: م. س.، ص115. ويطري عبد الله بن محمد الشريف التلمساني بكونه:" نحويا جرى منه النحو مجرى الدم، حافظا للغة والغريب والشعر والأمثال" ابن مريم: م. س.، ص120. ويأتي دون هؤلاء من اقتصر ابن مريم على وصفهم بالاشتغال الجاد بالنحو، مثل الشيخ ريان العطافي الذي نعته بال:"الفقيه الأستاذ النحوي" ابن مريم: م. س.، ص101، والشيخ سعيد بن أحمد المقري الذي يبدي ابن مريم موسوعيته في علوم الأدب إذ يقول إنه كان:"حافظا للغة العربية والشعر والأمثال وأخبار الناس ومذاهبهم وأيام العرب وسيرها وحروبها" ابن مريم: م. س.، ص105. ويأتي دون هؤلاء طبقة كان لها اشتغال بالنحو على قدر الابتداء، وهو ما يعرف في فن التراجم العلمية العربية بالمشاركة والنظر، من أمثال الشيخ داود بن سليمان بن حسن الذي:"شارك في العربية وغيرها"، مع أنه كان حافظا لألفية ابن مالك. ابن مريم: م. س.، ص101. أمين قادري: م. س.

19الزركلي: الأعلام - ج 6 / ص 314

20 هو محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي: 710 / 781 هـ 1311 / 1380 م، عرف بالجد، ويعرف بالخطيب . فقيه وجيه خطيب، من أعيان تلمسان، يكنى أبا عبد الله، ويلقب بشمس الدين الإمام فخر المغرب على المشرق نادرة الدنيا، شارح البخاري، والشفا، والعمدة في خمس مجلدات كبار، والاحكام، وصاحب الأربعين المسندة في الخلافة والخلفاء، وكتاب الإمامة، وإيضاح المراشد في ما تشتمل عليه الخلافة من الحكم والفوائد، وجنى الجنتين في شرف الليلتين ليلة القدر وليلة المولد، وهو كتاب عظيم ينبئ عن اطلاع واسع، و" شرح الاحكام الصغرى " و" المفاتيح المرزوقية " في شرح الخزرجية، و" عقيدة أهل التوحيد المخرجة من ظلمات التقليد" و" المسند الصحيح الحسن من أخبار السلطان أبي الحسن " اختصر في نحو 24 صفحة وطبع المختصر مع ترجمته إلى الفرنسية. أثنى عليه ابن خلدون، وأسهب المقري في ترجمته. الزركلي: الأعلام - (ج 5 / ص 328)

21 ابن زاغو845 - 782هـ 1380 - 1441 م أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ابن زاغو المغراوي التلمساني: فقيه عابد فرضي، من أهل تلمسان. من كتبه (تفسير الفاتحة) و (شرح التلمسانية) في الفرائض. و (أجوبة فقهية). وله فتاوي كثيرة. الأعلام للزركلي - (ج 1 / ص 227)

22 هو محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني، عرف بالحفيد، ابن مرزوق الحفيد: 766 / 842 هـ 1364 / 1438 م، وهو الإمام الأستاذ الحافظ النظار المحدث المسند أبو عبد الله ، مات بتلمسان وقبره بها إلى الآن شهير يزار، قال عنه تلميذه ولي الله الثعالبي: " أجمع الناس من المغرب إلى الديار المصرية على فضله لا أعلم نظيره في وقته". ووصفه تلميذه التنسي برئيس علماء المغرب على الإطلاق. الزركلي: الأعلام - (ج 5 / ص 331)

23 الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس- دار الهداية – الكويت- 1965- ج 14 / ص 147

24أمين قادري: م. س.

25 كالحسن بن مخلوف أبركان الذي كان:" يقرأ ألفية ابن مالك قراءة حسنة"، وحدو بن الحاج سعيد المناوي الذي كان:"عارفا بألفية ابن مالك"، وداود بن سليمان بن حسن. ابن مريم: م. س.، (صص87-95-105).

26 كان الطلبة يدرسون الألفية على الشيوخ بصفة منتظمة باستعمال نظام الدولة، أي مجموعة الطلاب المشتركين في دراسة فن معين، كما في ترجمة أحمد بن عيسى أبركان:"ودخل عليه مرة أخرى فاستفتح دولته في ألفية ابن مالك". ويذكر ابن مريم جملة من الشيوخ المتخصصين في تدريس الألفية، من أمثال أحمد بن عيسى أبركان، حدو بن الحاج سعيد المناوي، ابن مرزوق الحفيد. ابن مريم: م. س.، صص24-95-208.

27 من الشروح التي وضعها التلمسانيون: شرح القلصادي، و"إيضاح المسالك على ألفية ابن مالك" لابن مرزوق الحفيد، إضافة إلى أرجوزة لابن مرزوق أيضا في اختصار الألفية. ابن مريم: م. س.، صص143-211.

28 كانوا يحفظونه رغم كبر حجمه ونثر مسائله، فهذا علي بن محمد الأنصاري يتعاهد محفوظاته، ومنها التسهيل. ويأخذه الشيوخ الكتاب على مشايخهم بحثا وتحقيقا ونظرا كما أخذه ابن عرفة على بعض الشيوخ ، والقلصادي على ابن مرزوق ، وعن شيخه الآخر محمد الشريف التلمساني-وهو غير صاحب المفتاح. ابن مريم: م. س.، صص139-191-208-222.

29 ذكر ابن مريم: شرح التسهيل لابن مرزوق، ناقلا ذلك عن السخاوي، واختصار شرح أبي حيان على التسهيل لمحمد الشريف التلمساني- غير الأصولي- والظاهر أنه يقصد كتاب التذييل والتكميل. السخاوي، شمس الدين: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، ط01، 1992، ج7، ص51.

30 ابن مريم: م. س.، ص208.

31أمين قادري: م. س.

32 من المصادر المعتمد عليها مغاربيا، يذكر اليافعي أنه وضع له عند المغاربة وحدهم مائة وعشرون شرحا. اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي أبو محمد: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، 1417هـ - 1997م، الطبعة الأولى، 332/2. ويظهر من كتاب البستان أن هذه العناية لم تزل مستمرة: دراسة وتصنيفا، فأخذ الكتاب أبو يحيى ابن الشريف التلمساني عن شيخه ابن حياتي، وأخذه القلصادي عن شيخه ابن النجار التلمساني، وعن شيخه الآخر محمد الشريف التلمساني، وأما الشروح فقد نقل ابن مريم شرحا واحدا للقلصادي. ابن مريم: م. س.، صص128-221-222-143.

33 نقل عن أبي يحيى ابن الشريف أنه أخذ الإيضاح عن أبي عثمان سعيد العقباني، وعن أبي الفرج ابن أبي يحيى بن الشريف أنه أخذ أوائل شرحه لابن أبي الربيع عن شيخه ابن مرزوق الحفيد، وأخذ أواخر الإيضاح عن ابن مرزوق أيضا: القلصادي. ابن مريم: م. س.، صص128-205-208.

34ذكر ابن مريم كتاب سيبويه في سياق التدريس في ثلاث مناسبات، واحدة منها بتلمسان في سياق ما درسه أبو الفرج ابن أبي يحيى ابن الشريف عن شيخه ابن مرزوق، ومنه:" جميع كتاب سيبويه". ابن مريم: م. س.، ص205. فإذا أخذنا في الحسبان أن ابن مرزوق الحفيد توفي سنة (842ه)، فإن هذا قد يشير إلى أن تلمسان كانت من آخر حواضر العلم المغربية التي درس فيها هذا الكتاب العظيم إن لم تكن آخرها على الإطلاق. أمين قادري: م. س.

35 ذكر ابن مريم شرحين من شروحه أولهما للقلصادي ، والثاني لمحمد بن يوسف السنوسي سماه الدر المنظوم. ابن مريم: م. س.، صص143-247.

36ابن مريم: م. س.، صص141-143-256.

37 أخذه زيان بن أحمد بن يونس عن شيخه اللقاني، وكذلك أخذ بعضه أبو الفرج ابن الشريف عن شيخه ابن مرزوق الحفيد. ووضع أبو عبد الله الرصاع على المغني تأليفا استخرج منه إعرابا للقرآن الكريم عن طريق تجريد إعراب ابن هشام للمواضع التي أعربها من القرآن، وعنوان كتابه: الجمع الغريب في ترتيب آي مغني اللبيب. ابن مريم: م. س.، صص102-283.

38 ابن مريم: م. س.، ص223.

39 شرحه عبد الرحمن بن زاغو، وقد قرأ هذا الشرح القلصادي على أحمد بن عبد الرحمن ولد المؤلف. ونظمه ابن مرزوق الحفيد. واختصره المغيلي مضيفا على ذلك شرحا على اختصاره. وأما قراءته فقد نقلها ابن مريم عن جماعة منهم أبو الفرج الشريف الذي قرأه قراءة "تفقه" على ابن مرزوق الحفيد، والقلصادي على محمد الشريف التلمساني. وتتوطد علاقة التلمسانيين بالتلخيص وصاحبه إذا علم أن ابني الإمام التلمسانيين قد لقيا في رحلتهما إلى المشرق الجلال القزويني نفسه صاحب تلخيص المفتاح. ابن مريم: م. س.، صص42-211-255-206-222.

40 ذكر ابن مريم من شروحها شرحين: أولهما للقلصادي، والثاني لابن مرزوق الحفيد، وعنوانه: المفاتيح المرزوقية في استخراج رموز الخزرجية. كما تفرد القلصادي بوضع مختصر مستقل في العروض. ابن مريم: م. س.، صص134-143-210. أمين قادري: م. س.

41 ذكر ابن مريم أن ابن مرزوق الحفيد ابتدأ وضع تأليف يشرح فيه الشواهد التي اعتمدها شراح الألفية، أنجز منه مجلـــدا وصل فيه إلى باب كان وأخواتها. ابن مريم: م. س.، ص211.

مراجع الدراسة:

ابن مريم التلمساني: البستان بذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، اعتنى به محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، د.ط، 1908.

السخاوي، شمس الدين: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، ط01، 1992.

التنبكتي، أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس – ليبيا، 2000

محب الدين إيمان: محمد البشير الابراهيمي حامل لواء الدفاع عن اللغة العربية، أقلام الهند، السنة الثانية، العدد الثالث، يوليو- سبتمبر 2017 دراسات و مقالات

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي: الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، 2002م

ابن مريم، ابو عبد الله محمد بن محمد ابن احمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الجزائر، المطبعة الثعالبية، 1908

ابن خلدون: المقدمة، ط. 3، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1967.

يحيى سيدي أحمد: ديوان الصحراء الكبرى المدرسة الكنتية، دار المعرفة، الجزائر، 2009م

محمد الطنطاوي: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، 1995

التواتي بومهلة: المخطوطات التلمسانية في المكتبات الافريقية النحو نموذجا، دار المعرفة، الجزائر، 2015

المقري، أبو العباس أحمد بن محمد: التحفة، تحقيق يحيى سيدي أحمد، دار المعرفة، الجزائر، 2011م

أمين قادري: الثقافة اللغوية المتداولة بتلمسان تأليفا وتدريسا من خلال كتاب البستان لابن مريم التلمساني (ت:1020هـــ)، الأربعاء 27 ربيع الأول 1432، http://islahway.com/v2/index.php/423-2014-05-26-16-17-40

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس- دار الهداية – الكويت- 1965

اليافعي، عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي أبو محمد: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، 1417هـــ - 1997م، الطبعة الأولى

كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA:

محمد عمر حساني ، (2021)، **الواقع اللغوي في المغرب الأوسط في العصر الوسيط تلمسان نموذجا** ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد 13(04)/ 2021، الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة، (ص.ص 27- 36).